الصورة الشعرية - وظائفها 1 (النفسية والتأثيرية)

الأمثلة

1) قال إدريس الجاي:

عُودي إَليَّ خَوَاطِرَ الذِكْـــرَى ⇑⇑⇑ كالعِـــطرِ بين السَّوْسَنِ الذَّابِـــلِ
كاللمحة المشْدوهَةِ الحَيْـــرَى ⇑⇑⇑ منْ جَفْنِ مَحْمومِ الرُّؤَى الذَّاهِـــلِ
كالمُقْلَةِ المَحْزونَةِ السَّكْـــرَى ⇑⇑⇑ بعد الحَبِيبِ الغَادِرِ الراحِـــلِ

2) قال سليمان العيسى:

كالبحر نحنُ، وصَدِقِيـــــ ⇑⇑⇑ ـني، أننا أبْقَى ثَبَاتَـــــا
ماذا؟ إذا مِتْنَـــــا، إذا ⇑⇑⇑ ما الجَيْلُ والجَيْلان مَاتَـــــا
مَنْ قـــــال: إن الأرض أر ⇑⇑⇑ ضُ المَجْدِ لا تُسْـــقَى رُفَاتَـــا
مِنْ قَلْبِ هذا الجَذْبِ، هـــ ⇑⇑⇑ ـذا الموت أنْتَظِرُ الحَيَـــاةَ

ملاحظة الأمثلة

المثال الأول

الأبيات الثلاثة تعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر تبدأ بالالتماس عبر فعل الأمر (عودي)، التماس يبين عمق الغربة والحنين التي يعيشها الشاعر، مما جعله يلتمس الذكرى كالعطر، كاللمحة، كالمقلة، لنفسه الذابلة، الحيرى، السكرى. فشبه خواطر الذكرى وهي حالة معنوية بمتعدد حسي العطر بين السوسن واللمحة المشدوهة والمقلة المحزونة. فالصورة هنا جاءت كلية لكون عناصر التشبيه معنوية لا تدرك مباشرة، ووظيفتها نفسية تعبر عن نفسية الشاعر.

المثال الثاني

هذه الأبيات الأربعة المشبه نحن وهو حسي والمشبه به البحر وهو أيضا حسي يشخص وجه الشبه الثبات والقوة، ولترسيخ الفكرة توسل الشاعر بالاستفهام والتوكيد ليبين أن الموت يغذي الأرض ليبعث منها الإنسان أكثر قوة وعزيمة عن ذي قبل. فالصورة الشعرية لها وظيفة تأثيرية تجعل المتلقي يقتنع بموقف الشاعر، ويتفاعل مع أفكاره.

خلاصة عامة

الصورة الشعرية تؤدي وظيفتين أساسيتين:

وظيفة نفسية

ومن خلالها يسعى الشاعر إلى التعبير عن عواطفه وأحاسيسه، وتتميز بالخصائص التالية:

- التدرج في التعبير عن نفسية الشاعر بدأ من نفسيته والغرض الذي يرمي إليه من ورائها.
- التركيز على مشاعر الشاعر الداخلية، وتجربته الوجدانية.
- هيمنة البعد النفسي على تشكيل الصورة فكريا وفنيا جماليا.

وظيفة تأثيرية

وتسعى إلى إشراك المتلقي وإقناعه بمواقف الشاعر وأفكاره، ومن مميزاتها ك:

- تجسيد المجردات وتشخيص المعاني حتى يتأثر المتلقي مباشرة مع الصورة.
- إقناع المتلقي بالفكرة أو المعنى المراد من الصورة.
- إثارة الاستجابة الفنية في المتلقي بتحريك مخيلته وما يختزنه من أفكار ودلالات.
- تحقيق التناسب الوجداني بين حالة الشاعر والصورة الشعرية.

وتستمد الصورة الشعرية وظيفتها التأثيرية من ثلاث أسس:

- تجارب الشاعر الشخصية وتأملاته في الحياة.
- استثمار تجارب الآخرين والتواصل الوجداني معها.
- مهارات الشاعر الإبداعية القادرة على احتواء المتلقي والتأثير فيه.

الصورة الشعرية - وظائفها 2 (التخييلية)

الأمثلة

قال الشاعر عمر أبو ريشة:

مَأتمُ الشمسِ ضَج في كَبِدِ الأفـ ـــق وأهوى بطَعْنَةٍ نجـــــلاءِ
فَأطَلتِ مِنْ خِدرِها غَادَةُ الليـ ـــل وتاهَتْ في مَيْسَةِ الخُيَلاءِ

ملاحظة الأمثلة

الصورة هنا تعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، نفسية محزونة يغيب فيها النهار بطريقة مأساوية ويزحف الليل متبخترا.

فالصورة هنا جاءت كلية تجمع بين ما هو محسوس: غروب الشمس وقدوم الليل، وما هو معنوي: حالة الحزن والموت (مأتم وطعنة).

وقد لعب خيال الشاعر دورا كبيرا في العملية التخيلية التي حولت ظاهرة فيزيائية طبيعية إلى حالة إنسانية مأساوية تهزم فيها الشمس بطعنة قاتلة أمام جبروت الليل وخيلائه.

فالصورة تجاوزت المعنى المباشر للألفاظ "مأتم، الشمس، كبد، غادة، الليل" إلى معنى دلالي مجازي تحكم في تركيبه خيال الشاعر.

فالشاعر تجاوز الوصف المباشر لصورة الغروب إلى وصف ذاتي يكشف عن رؤيته الخاصة للظاهرة الطبيعية، مما يتطلب من المتلقي التخيل ليعيش تجربة الشاعر ويفهم مغزاها، فالغروب مأتم والشمس قتيلة والليل غادة.

خلاصة عامة

إضافة إلى الوظيفة النفسية أوالوظيفة التأثيرية التي تؤديها الصورة الشعرية هناك أيضا الوظيفة التخييلية التي تعتمد على قدرات الشاعر التخيلية في الاستحضار والتركيب بين عناصر طبيعية وأخرى إنسانية.

مفهوم الوظيفة التخييلية

الصورة الشعرية في وظيفتها التخييلية تكون مشتركة بين الشاعر المبدع الذي حول اللغة إلى تعبير مجازي، والمتلقي الذي يقوم بعملية تأويل اللغة لفهم مغزاها وأبعادها الدلالية.

وتعتمد الصورة الشعرية في وظيفتها التخييلية على نوعين من الخيال:

- خيال استرجاعي: يعتمد على ذاكرة الشاعر في استرجاع صور متراكمة في ذهنه.
- خيال توليدي: ويكون من إبداع الشاعر، ينجز صورا غير مسبوقة تتجاوز المألوف من الصور.

أهمية الوظيفة التخييلية

- الصورة الشعرية تحول مظاهر العالم الخارجي إلى تجارب إنسانية تتداخل فيها ذات الشاعر بعناصر الطبيعة.
- الصورة الشعرية تتجاوز الأبعاد المادية إلى ما تمثله من أبعاد روحية تعكس أحاسيس الشاعر ويتفاعل معها المتلقي
- الصورة الشعرية تتجاوز حدود المعنى المباشر إلى ما تولده من معاني خاصة برؤية الشاعر.